

السر العجيب

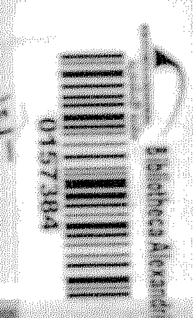
في تعدد زوجات الحبيب

زوجات النبي ﷺ

تأليف

الشيخ طنطاوي جوهري

١٣١٨هـ



دار صادق للنشر

السر العجيب
في تعدد زوجات الحبيب

زوجات النبي ﷺ»

تأليف
الأستاذ الفيلسوف
الشيخ طنطاوي جوهري
المدرس بمدرسة دار العلوم

أ

دار صادق للنشر
ص. ب. ١٢٠ سيدى جابر
الإسكندرية

□ رقم الإيداع بدار الكتب القومية: ١٠٧٥٣ - ٩٣
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-5337-05-4
□ الطبعة الثالثة: يناير ١٩٩٤

جدى الحبيب . .

إنتمائى إليك دماً وإسماً
خير وبركة ونعمة
أعزنى الله بها.
وإنتمائى إليك فكراً ورؤية
شرف أرجو من الله أن يعيننى عليه

ألفه جمال الدين طنطاوى جوهرى

رؤية مستقاه من كتابات
الشيخ طنطاوى جوهـرى

توالت الأزمان والعصور والمجتمعات والأحداث والتواريخ والبشر بأنواعهم وأفكارهم وأخطائهم وإنجازاتهم وهفواتهم منذ إشراقة الرسالة المحمدية على أرض البشر وحتى يومنا هذا. يوم بلغ فيه التقدم العلمى فى شتى المجالات حدود تعدت الخيال بل والفهم أحياناً.

ورغم ذلك التقدم العقلى الهائل والذى جعل الإنسان قادراً على إمتطاء صهوة الطبيعة والسيطرة على مكنونها ومكوناتها لصالح رفاهيته ورخائه. فهو مازال يعانى من تخلف نفسى ومعنوى وقصور فى فهم ذاته وطبيعته هو الإنسانية.

وربما تكون تلك الاندفاعة فى فرض إرادته على ما حوله من طبيعة وبشر أحياناً هو تعويض عن ضعف داخلى لأنه غير قادر على فرض إرادته على ذاته وترويض رغباته وشهواته ومجاهدة نفسه، ووساوسه وانحرافاته.

وينعكس ذلك الخلل ما بين عقل متنامى ومتعاظم وقصور فى الوجدان فى الخلل القائم فى العلاقة ما بين المرأة والرجل فى المجتمع الإنسانى ككل فى الغرب والشرق معاً. فالرجل هو بمثابة العقل الموجه والقوة المنفذة فى الكيان البشرى على الأرض والمرأة هى القلب والوجدان فهى الأم والرفيقة والزوجة والأخت والحبيبة فى ذلك الكيان.

إن ذلك الخلل العميق فى البناء الإنسانى على الأرض يسلب كل ما نراه من حولنا من مظاهر التقدم صفة التحضر. لأن الحضارة أو

أصل الحضارة الرقى فى البناء الإنسانى المعنونى والوجدانى وليس البناء المادى المشهود. لقد بلغ المصريون القدماء ذروة الحضارة والرقى لأنهم فى خلال تجربتهم على الأرض وصراعهم مع الطبيعة أدركوا وجود القانون الإلهى الغيبى ثم توصلوا لليقين بالتوحيد. وإنما بناءهم المادى مجرد إنعكاس للبناء الحضارى والمعنوى القائم من ورائه.

ويعنى ذلك أن الخلل سيظل قائماً فى مجتمعات البشر مادامت مكانة المرأة ومكانة الوجدان والقيم المعنوية متردية فى تلك المجتمعات. لقد توالت صيحات الاستنكار ونداءات المساواة مع الرجل وغيرها من المساعى والتى لم تنجح كثيراً فى الرفع من شأن المرأة ومكانتها وإن كانت قد نجحت فى فتح أبواب العمل والاجتهاد واثبات الذات أمامها وهو ما يصفه الشيخ طنطاوى جوهرى بقوله «ألا إن للنساء نفوساً كما للرجال: يُحببن الشرف ويسعين للحياة والذكر والأجر وعلو الهمة.. بل إنهن أرق شعوراً، وألطف أفئدة وأشعر قبولا لموعظة، وأكثر تقديراً لفضيلةٌ وفى هذا الكتاب يعمل الشيخ الجليل على نفض غبار الفهم الخاطىء لحقيقة ومكانة المرأة فى الاسلام، لأن سريان مثل هذا الفهم وإحتذاء المثال به ربما يكون هو السبيل الوحيد لخلاص ونجاة المجتمع الانسانى على الارض والانطلاقة الحقيقية نحو بناء حضارى.

ألفه جمال الدين طنطاوى جوهرى

مقدمة لناشر الكتاب

«الطبعــة الأولــى والثانيــة»

حمداً لك اللهم يا منشيء الكائنات، ومبدع الأرضين والسموات، وصلاة وسلاماً على أفضل المخلوقات، سيدنا محمد ذى الجاه المنيع، والقدر الرفيع.

(وبعد) فلما كان موضوع تعدد زوجات النبى عليه الصلاة والسلام على الخصوص وتعدد الزوجات مطلقا فى الاسلام قد صار حديث الناس فى مجتمعاتهم، وموضع مناقشتهم فى أنديتهم، وقد كثر فيه القيل والقال، وطال من أجله الحدس والجدال، ولم يهتدوا فيه حجة مقنعة تكشف الستار عن هذا (السر العجيب) ولا الى دليل كاف يظهر لهم هذا الامر الغريب، ولم يوجد بين ظهر انينا مؤلفات فى هذا الباب، يرجع اليها للاهتداء بها الى الصواب، رأيت أن أقوم بنشر هذه المحاورة التى صاغها أخونا الاستاذ الجليل الشيخ طنطاوى جوهرى فى هذا القالب البديع، والاسلوب الرائق الجميل، بعد أن دارت بينه وبين أحد المحامين الكبار، حبا فى العلم ونشره، وخدمة للامة الاسلامية— فالله أسأل أن يأخذ بناصرنا فى سبل الرشاد، ويوفقنا الى طرق الهداية والسداد.

سنة ١٣٣٣ هجرية
سنة ١٩١٤ ميلادية

تقديـــــــم

«للطبعة الثالثة»

معانى الكلمات التى كتبها الشيخ طنطاوى جوهرى منـذ حـوالى ثمانون عاما لا تحتاج إلى شرح أو تفسير – بل تمس القلوب المتعطشة للمزيد من أسرار الرسالة المحمدية.

وقد ورد بالكتاب ألفاظا عربية معروفة فى الزمن الـذى جـاد فيـه الشيخ طنطاوى بهذه الجواهر – إلا أنها قد تكون غير مألوفة فى الوقت الحاضر – ولذلك قد يجد بعض القراء صعوبة فى إدراك بعض معانى ألفاظ عربية بين سطور هذا الكتاب – وأيضا استبعد الناشر أن يعيـد صياغة كلمات الكتاب باعتبارها معانى حيـة يتفاعـل معهـا القـارىء بإحساسه وبفكره – بقلبه وبعقله.

هذا باستثناء بعض الألفاظ اللغوية التى لايؤثر استبدال مرادفها اللفظى فى معانيها.

وقد صاغ الشيخ طنطاوى الكتاب فى محاورة دارت بينـه وبيـن حضرة محمود أفندى طلعت أبو مسلم المحامى الشهير فى هذا الوقت سنة ١٣٣٣ هجرية– وكان يطلق على المحامى فى هذا الوقت كلمة– الأفوكاتو – أو – (المدره) .

وهو الذى دارت المحاورة بينه وبين – الأستاذ (الشيخ طنطاوى جوهرى)

سنة ١٤١٤ هجرية
سنة ١٩٩٤ ميلادية

المجلس الاول

● **المدْرَه:** أيها الاستاذ كثر القيل والقال فى أمر تعدد أزواج النبى ﷺ و نحن معاشر المسلمين ولا سيما علماء القانون لايزال بعضنا فى شك مريب مما ذكر و يذكر فى كل آن فى المسألة، و لقد ترقبنا قولك فلم نحس لك من خبر، ولم نسمع لك من ركز، فأقبل بعضنا على بعض متسائلين متخافتين بيننا قائلين: لولا أن الأمر عسير عليه ليس له فيه مقنع، وعقبة كأداء ليس لديه لها مطلع، ما أغمض الجفن على القذى، ولا بقى فى غطاء عن الأمر مع كثرة الطلب، والإلحاح المتوالى عليه من الفرق المختلفة فِرقًا وجماعات.

● **الاستاذ:** لم أذر القول فيما مضى إلا لأعمال متراكمة، ودروس متعاقبة، يتخللها سآمة، تتبعها كلالة، ولم أشأ أن أقف موقف الراد على فريق معين، أو قائل متهور، أو مدع يتبين جهله، فالقرين لقرينه منسوب، والشيء يذكر بضده، والمرء يتحدث مع نظيره.

إنما تربصت هذه المدة حتى تبين الحقيقة واضحة ناصعة وتكون رسالتى قائمة بنفسها، ولأقف على أكثر ما يجول فى الخواطر حتى يكون الدواء على مقدار الداء، والجواب على

مقدار السؤال.

● **المدره:** كيف تزوج النبي ﷺ تسعا وقد حرمت الشريعة ما زاد على الأربع و أنت خبير بأنَّ من تعوَّد على القانون يختلجه الشك و الريب اذا رأى أن المشرع قد اختص بما لم يبحه لغيره، وكيف يتزوج تسعا ويمنع غيره مما زاد على الأربع وسنن الانبياء تأبى ذلك ألم تر الى ما حكى الله تعالى عن شعيب ﴿و ما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه إن أريد إلاَّ الإصلاح ما استطعت﴾ الآية ٨٨: سورة هود وههنا المخالفة واضحة:

إنا معشر المتعلمين يستعصى علينا أن نفهم جواز مخالفة القانون ولو بحجة الخصوصية التى كثيراً ما سمعناها من شيوخنا وقرأناها فى الكتب فنبينا ﷺ يتبعه نحو خمس الجنس البشرى وسيرته قدوة للأمة

● **الاستاذ:** إن النبى ﷺ تزوج هؤلاء السيدات قبل تحريم ما زاد على الأربع و هن عائشة وميمونة و صفية وحفصة وهند وزينب وجويرية و رملة وسودة.

● **المدره:** ما منعه أن يفعل معهن ما أمر الحرث بن قيس، قال أسلمت و عندى ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال اختر منهن أربعا (أخرجه أبو داوود)، وهلا فعل هو كما أمر غيلان بن سلمة الثقفى، أسلم وله عشر نسوة فى الجاهلية فاسلمن معه فأمره رسول الله ﷺ أن يختار منهن أربعا (أخرجه الترمذى)، وروى أن نوفل بن معاوية أسلم وتحته خمس نسوة فقال عليه السلام أمسك أربعا و فارق واحدة، والنبى ﷺ كان

عنده تسع فهو وسط بين ابن قيس و بين ابن سلمة، أفما كان الأجدر أن يفارق خمسا ويبقى أربعا.

- **الأستاذ:** قد أعددت ثلاث إجابات، لك في كل واحدة منهن شاهد مقنع.

- **المدره:** هات أولاها

- **الأستاذ:** لقد حرم الله عليه أن يتزوج غيرهن و أن يستبدل بهن من أزواج فكان للمسلم بكل واحدة من الأربع بحيث يمكنه أن يطلقها ويتزوج غيرها، والرسول محرم عليه ذلك، قال الله تعالى﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك﴾ سورة الأحزاب: الآية ٥٢ قال البيضاوى: لا يحل لك النساء بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى ولا أن تبدَّل بهن من أزواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى، وقال ابن عباس: إن النبى ﷺ لما خيرهن فا خترن الله ورسوله شكر لهن الله ذلك وحرَّم عليه النساء سواهن و نهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن فيتبين منه أن القانون قداشتدت وطأته عليه فجعل لهنَّ أن يأمنَّ الطلاق والاستبدال، وسواهنَّ لا يأمنَّ طلاقا ولا استبدالافكثرة العدد له تقابل الحصر والمنع.

و قلة العدد عند المسلمين مقرونة بالتوسعة استبدالاو طلاقا فلئن ضيق على المسلمين فى الكم، فقد ضيق عليه فى الكيف، ولئن وسع عليه فى الكم، فقد وسع عليه فى الكيف، فالمساواة متعادلة ضيقا وسعة.

● **المدره:** لقد قال هذا القول قبلك أحد الكتاب ولم يكن لدينا واقعا موقع الماء من الظمآن فالقانونى لم يزل كالمتحير الذى لا يدرى من الأمر شيئا، وهو عند الله والناس المحترم، فليكن منهج المساواة أقرب من هذا و أدعى للطمأنينة فاننا قد أصبحنا فى زمن لا نعرف فيه للمحاباة معنى، ولا نعد مثل هذا الا تلمسا لجواب من أى باب، نعم هذا فيه مساواة فى الحقيقة، ولكن يصبح القانون نوعين لا قانونا واحد.

● **الاستاذ:** لو طلق نساءه ﷺ لكان ذلك خللا فى السياسة، وسوءا فى التدبير، وتفريقا للكلمة، وبخلا بالجاه على مستحقه، والأنبياء أحق الناس بالكياسة والفضل والسماحة.

من ذا ترى أحق بالطلاق من نسائه أعائشة بنت أبى بكر؟ أم حفصة بنت عمر بن الخطاب؟ أم زينب إبنة جحش الاسدية؟ أم أم سلمة بنت أبى أمية المخزومى؟ أم أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب؟ أم صفية بنت حيى بن أخطب؟ أم ميمونة بنت الحرث الهلالية؟ أم سودة بنت زمعة بن الاسود؟ أم جويرية بنت الحرث المصطْلقية؟

فوالله لئن طلق عائشة بنت أبى بكر لزلزلت القلوب ولكان ذلك أمراً إدًّا تكاد الأفئدة تتفطر منه، وتنشق المرائر. أنى يكون ذلك وأبو بكر رفيقه فى الغار، وداعى أهل الضلال والكفر للاسلام، وصاحبه الأول، ومعينه بنفسه وماله، لئن فعل ذلك لكان أسوة سيئة لنا، ولكان الغدر بالأصحاب، من خصال أولى الألباب.

و لئن طلق حفصة بنت عمر بن الخطاب لكان ذلك نقطة سوداء فى جبين الشرف، وسُبَّة شنعاء فى وجه الأدب، وكفرانا للمنعمين، وطغيانا على الصحابة الصادقين، فيالها من فضيحة يخجل لها وجه الزمان، ويُسودِّلها الليل والنهار ويندى لها جبين الفضيلة، وينتصر بها جنود الرذيلة، ويشمت لها جماعة الأعداء، ويتمزق بها عن المصلح شمل الأخِلاّء.

ألم تر الى ما ورد فى السيرة الحلبية ومثله فى البخارى بزيادة وحذف فى مختلف الروايات. عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه ذكر أن بعض أصدقائه من الأنصار جاء إليه ليلا فدق عليه بابه وناداه. قال عمر: فخرجت اليه فقال: حدثَ أمرٌ عظيم فقلت: ماذا؟ أجاءت غسان ؟ لأنّا كُنَّا حُدِّثْنا ان غسّان تُنعل الخيلَ لغزونا فقال: لا بل أمر أعظم من ذلك وأطول: طَلَّق رسولالله ﷺ نساءه فقلت: خابت حفصة و خسرت. كنت أظن هذا كائناً. حتى اذا صليت الصبح شددت علىّ ثيابى ودخلت على حفصة وهى تبكى فقلت: أطلقكن رسول الله ﷺ ؟ قالت: لا أدرى هو معتزلا فى هذه الغرفة وفيه انه استأذن على النبى ﷺ ثلاث مرات وفى كل منهن يجيبه الغلام بقوله ذكرتك له فصمت قال فلما كانت المرة الرابعة و قال لى مثل ذلك وليت مدبرا فاذا الغلام يدعونى فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فاذا هو متكىء على رُمَلِ حصيرٍ قد أثَّرَ فى جنبه فقلت: أُطلَّقت يا رسول الله نساءك ؟ قال فرفع رأسه الىّ وقال لا. فقلت الله أكبر (الحديث مطولا) وفيه قال عمر أأستأنس يا رسول الله ؟ قال نعم فجلست وقلت

يا رسول الله قد أثر في جنبك رمل هذا الحصير وفارس والروم قد وسع عليهم و هم لا يعبدون الله فاستوى ﷺ جالسا وقال: أفي شك أنت يا بن الخطاب؟ أولئك قد عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت: أستغفر الله يا رسول الله (ولقد اقتطفنا من الحديث ما يليق بالمقام) فانظر كيف كان عمر وصاحبه يظنان أن طلاق نسائه أشد من غزوة الأعداء وحلول البلاء ثم يفرق ويدهش ويستأذن ثم يرد وهو يوجس في نفسه خيفة وكأنه ظن أن غضب الله ولعنته، وجهنم وخزنتها، والزبانية وسلطتها، تحيط به وبابنته لو طلقها النبي.

و روى أنه كانت جفوة بين حفصة و النبي ﷺ فبلغ أباها عمر أن النبي ﷺ طلقها فهال التراب على رأسه وقال ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها. فنزل جبريل على النبي ﷺ من الغد وقال: ان الله يأمرك ان تراجع حفصة رحمة لعمر – أي تصالحها. وقال عمار بن ياسر رضي‌الله عنه أراد النبي أن يطلقهافقال له جبريل عليه السلام إنها صوامة قوامة وأنها زوجتك في الجنة.

فهل ترى بعد هذا طلاق عائشة أم حفصة ؟ فقال أما هاتان فطلاقهما فتنة ومحنة ومفسدة أي مفسدة.

- **الاستاذ:** فهل ترى طلاق أم سلمة المسماة هنداً زوج أبي سلمة عبد الله بن عبد الاسد ابن عمة النبي ﷺ وهي برة بنت عبد المطلب وكان زوجها أخاه من الرضاع مات أبو سلمة ومعها أربع بنات برة وسلمة وعمرة ودرة فآواها النبي ﷺ وتزوجها بعد أن اعتذرت اليه وقالت اني امرأة مسنة، واني أم

أيتام، واني شديدة الغيرة، فأجابها على لسان رسوله بقول: الايتام أضمهم اليّ وأدعو الله أن يذهب عن قلبك الغيرة ولم يعبأ بالسن بل كانت تلك المزهدات والعقبات من أقوى الدواعى للاسراع فى طلبها عطفا عليها، ورحمة ببناتها، وصلة لرحمها، ومعرفة بحق أخيه من الرضاع، وإيواء لصغاره من بعده.

أفتراه يطلق بعد ذلك؟ ولو أنه فعل لكان أمرا نكرا واستضعافا للأيتام، واستخفافا بصلة الأرحام، واحتقارا لشأن اللاجئات إليه اللاتى يستحققن معونته- أم يطلق زينب ابنة جحش امرأة زيد الذى تبناه ﷺ وتزوجها بعد طلاق زيد رمزا الى ما يقع فى بلاد المسلمين كل آن من بعده إذ يصطفى البعيد النسب، ويقصى القريب، فيكون الخلل فى السياسة والرياسة، والاسلام وإن سوى بين الناس وجعلهم إخوة فى أعمالهم الدينية والدنيوية فقد نظر من وجه آخر الى الكياسة فى السياسة. فلقد يصدق المولى ولقد يكذب نعم صدق زيد وصدق ابن زيد أسامة. نعم هؤلاء وأضرابهم كانوا من أجلّ الانصار بل قواد الجيوش المدافعين عن حوزة الاسلام وحدوده بالرماح والسيف، كل ذلك مسلّم ولكن نظر النبى نظراً أدق وعلمه الله بالوحى ما جهله الملوك كالمعتصم والترك فجعلوا الموالى أولى بالمناصب، وأحقّ بالكراسى، وأجدر بحفظ السياسة، والاستبداد بالرياسة، فحق القول على أكثرهم فهم يعمهون.

نظر ذلك كله النبى فأمره الله ان يتزوج زينب وألقى فى روعها بُغْضَ زيد فلما شكا زيد أَنَفَتها منه، وجفوتها له، وتكبرها عليه، إعتزازا بنفسها، اذ كانت من صميم قريش وهو مولاهم قال له

أمسك عليك زوجك واتق الله ولامه الله على ما كتم فى نفسه من أنه أمر قبل ذلك وأخبر بأنه سيتزوجها فقال له ﴿وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ الآية ٣٧ من سورة الأحزاب.

ذلك لأن يصدع بالأمر ولايخاف فى الله لومة لائم فكيف يخجل فى تغيير ما ظهرت عواقبه الوخيمةبعد ذلك واستبان ضرره، فلقد كان للترك فى دولة بنى العباس من الفتك بالملوك، وفقأ العيون، وقطع الرقاب ما تقشعر منه الجلود ولكم شدخوا الرءوس واستنزلوا قرابة النبى بعد عز من مراتبهم بشهوة عرضت، ونميمة بدت، وضغينة كاذبة يبتدعونها، وأغراض ذميمة يتبعونها، ولآثام يقترفونها.

وكذلك أولئك الجنود المختلفون والفرق المتشاكسون المسمون الانكشارية علموا أنهم من جنس غير الترك ومن عنصر لايتصل معهم ولايلتئم فاتحدوا للمنفعة ثم أتوا صفا وأهلكوا الحرث والنسل فى انحاء الدولة وقد تهاون الترك لتلك العقارب والحيات كما استنام العرب قبلهم لغلمان المعتصم الذين تناسلوا وتكاثروا وأوقعوا الدولة فى حيص بيص فتفرقت فرقا ضعيفة، ومزقت كل ممزق، وأصبحوا أحاديث للأمم الحاضرة والغابرة، ذلك ما كان يرمز إليه زواج زينب ابنة جحش ذلك هو السر المصون، والجوهر المكنون ذلك أصل سياسة الله فى الإسلام جهلها الناس، ولئن علموا لقد غشّى على أعينهم الطمع، وذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون.

و ها هنا قال المدره للاستاذ آن أوان الانصراف، فلنعد غدا صباحا، وإن موعدنا الصبح، أليس الصبح بقريب؟

المجلس الثانى

جاء الأستاذ والمدره وقال الاستاذ ها نحن فرغنا من الكلام على زينب ابنة جحش أم المؤمنين رضى الله عنها فنقول اليوم أترى أن يُطَلِّق أم حبيبة وهى رملة بنت أبى سفيان بن حرب؟ وهى التى نبذت دين أمها هند وأبيها أبى سفيان فحل قريش زعيم القوم وكبير العشيرة أبى معاوية؟

هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى أرض الحبشة الهجرة الثانية فولدت حبيبة وبها كان يناديها الناس – ام حبيبة فتنصر زوجها هناك وثبتت هى على الاسلام فانظر كيف صُدمت بهجر أبويها ثم بفراق أهلها وقومها وعاشرت قوما سود الألوان يخالفونها فى العقيدة وهم الحبشان ثم تنصر زوجها فهل بعد ذلك من محن وعذاب متواصل ومستمر.

فماذا فعل النبى ﷺ ليكافئها؟ أرسل عمرو ابن أمية الضمرى الى النجاشى رحمه الله فزوجه ﷺ إياها وأصدقها النجاشى عن النبى ﷺ أربعمائة دينار والذى تولى عقد النكاح عثمان بن عفان وجهزها النجاشى من عنده وأرسلها مع شرحبيل بن حسنة فهل يكافئها بمثل هذا ويرفع عنها الضيم الذى توالى عليها بسبب الاسلام ويشرفها ويرفع رأسها بين قومها ثم بعد ذلك

يفارقها؟ ان هذا لعار وأى عار، بل إثم كبير، وزلة لا يغفرها الدهر، ولايرضاها الوضيع الجاهل، فما بالك بمن هو القدوة الأعظم، والسيد الاكرم ؟

أم يطلق جويرية بنت الحرث بن ضرارسيد بنى المصطلق وإسمها برة التى تزوجها ﷺ بعد أن أعتقها؟

ولما رأى المسلمون أنه ﷺ تزوج جويرية قالوا فى حق بنى المصطلق أصهار رسول الله فاعتقوا ما بأيديهم منهم.

قال فى الامتاع ولما تزوجها ﷺ خرج الخبر الى الناس وقد اقتسموا رجال بنى المصطلق وملكوهم، ووطئوا نساءهم، فقالوا أصهار رسول الله فاعتقوا ما بايديهم من الأسرى، فهل يطلقها رسول الله بعد ان شرفت قومها بزواجه فرفعوا رؤوسهم بين القبائل؟

أفيجوز فى شرعة الفضيلة ان ينسكوا رؤوسهم بين الملأ صاغرين، ويعيروا بالخيبة والتعاسة خاسئين ؟

- **المدره:** هذه المعاذير التى ذكرتها إقناعية لا تروى من غلة ولا تشفى من علة ولكنها تقوم حجة وقتية، و يجتزىء بها أواسط الناس، فأما الأذكياء فانهم يبقون وعندهم بعض ريب وقلق واضطراب.

- **الاستاذ:** ولماذا ؟

- **المدره:** إن ما جاز أن يكون شأنه مع نسائه يجوز أن يكون مع كبراء العرب وأشرافهم فلقد يحتج كل بما يصيب نساءه

من المصائب، وما ينتابهن من النوائب وما يحل باحبابهن والحبائب: من تنكيس الرءوس، وحلول البؤس، وذل النفوس، وشماتة الأعداء، وحزن الأخلاء.

- **الاستاذ:** ليس شأن سراة العرب وصعاليكهم كشأن النبى ﷺ، ولا وقائعهم كوقائعه فالطامة هنا كبرى وهى متوجهة للأمة ونظامها كما أوضحته لك فيما مضى وكيف تنسى عمر وما حثا من التراب على رأسه وهو ركن مهم من الإسلام؟ وكيف قال هو وصاحبه أن طلاق نسائه أشد من احتدام وطيس الحرب، وضرب الرؤوس، و إعمال السيوف، والقنا يقرع القنا، وأمواج الموت تتلاطم؟

- **ثم قال الاستاذ** فماذا كنت تفعل لو كنت مكان النبى ﷺ؟

- **المدره:** أنتهج خطة الحيلة بحيث أسلط القانون على الناس ثم لا أمس شرف هؤلاء السيدات بسوء.

- **الاستاذ:** وكيف ذلك ؟

- **المدره:** أملكهن زمام أنفسهن، وأخيرهن، فأكون قد مهدت لنفسى العذر، وقطعت لسان اللوم، فلو طلقت إحداهن نفسها لم يُسوَّد وجهها بما يقول الناس أن النبى أبغضها فنبذها وليس مقام النبوة يمسه سوء من فراق سيدة لم تختره.

- **الاستاذ:** قد فعل النبى ذلك إذ قال الله له ﴿يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن و أسرحكن سراحا جميلا. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار

الآخرة فان اللّه أعد للمحسنات منكـن أجـرا عظيمـا﴾ آيـة ٢٨، ٢٩ سورة الأحزاب.

فبدأ بعائشة فقال يـا عـائشة إنى أعـرض عليك أمـراً أحب ألا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبـويك قـالت ومـا هـو يـارسول الله؟ فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوى؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخـرة، وأسألك ألا تخبـر امـرأة مـن نسائك بالـذى قلت. قـال لاتسألنى امـرأة منهـن إلا أخبرتهـا إن الله لـم يبعثنى مُعْنِتاًولا متعنتا، ولكـن بعثنى معلمـا و مبشرا.

- **المدره:** هذا كلام حسن فماذا كـان بعـد ذلك ؟

- **الاستاذ:** اختاره نساؤه كلهن، وحرم عليه استبدالهن وطلاقهن، كما تقدم وسُمِّين أمهات المؤمنين، وأُعطين هذه المنزلة السامية فى التاريخ والأمم جيلا بعد جيـل الى يومنـا هـذا.

- **المدره:** هل كان نساء النبى يقدرن هذا المجـد قـدره؟ وهـل يريـن أن المجــد و الشرف والاسم والصيت فضلا عــن الــدار الآخرة أرقى وأرفع وأعز من المال والشهوات الحيوانيـة ؟ وهـل من حوادث تؤيـد ذلك حتى نقـول إنهـن كـن يـردن الله والعـزة والشرف والآخرة وحتى نضرب الذكر صفحـا عمـا نعلمـه مـن أنهن كن يطلبن منه النفقة وأن ذلك كان من أسباب هجره لهـن شهرا كامـلا لمغاضبتهـن لـه فكـان ذلك مـن أسبـاب نـزول آيـة التخيير.

- **الاستاذ:** نعم كُنَّ يقدرنـه حـق قـدره ألـم تـر الى أخت دحيـة وإسمها شراف بنت خليفة التى ماتت من الفـرح لمـا علمت أن

النبى ﷺ تزوج بها ولما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن يا نبى الله إجعل لنا من مالك ونفسك ماشئت ودعنا على حالنا.

ألا إن للنساء نفوسا كما للرجال: يحببن الشرف كما يحبون ويسعين للحياة والذكر والأجر وعلو الهمة كما يسعون.

لقد برهنت النساء فى كل زمان على أن فيهن من تُفضّل الموت على العار بل إنهن أرقّ شعورا، وألطف أفئدة، وأشد قبولا لموعظة، وأكثر تقديرا لفضيلة، وأوفى بالعهد إذا أخلصن للزوج.

فانظر كيف قضت أخت دحية الكلبى نحبها لما فاجأها من خَبَّر زواجها بالنبى فقل لى رعاك الله! أكان ذلك لمال والنبى ﷺ كان ينام على حصير ويأكل الشعير، ولا يبالى بمتاع الدنيا ونساؤه يطلبن منه النفقات، ويقلن له كل يوم هات؟ أم لشهوة وعنده كثير من العقيلات الكريمات وهو قائد حرب ومعلم تلميذ وقائم ليل، وصائم نهار وقاض بين خصوم، ومفرج هموم، فماذا يكون حظ النساء منه؟ كلا وإنما ذلك الشرف والمنزلة الرفيعة فى الدين والدنيا فلا عجب إذا قالت سودة بنت زمعة دعنى حتى أموت تحت كنفك وقالت هى والباقيات لا تقتلنا بالفراق والطلاق رضينا بالقوت ورضينا بما تصنع معنامن ترك قسمة.

على أننا أمهاتُ المؤمنين و إنما لا ننكح بعدك حتى نزل قوله تعالى ﴿ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن

ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولايحزنّ ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما﴾ الآية ٥١ من سورة الأحزاب.

قال البيضاوى ترجى من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوى إليك من تشاء وتضم إليك وتضاجعها.

و هناك أقوال أخرى غير هذا لا حاجة لها فى موضوعنا وقال مخاطبا للمؤمنين ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا﴾ آية ٥٣ من سورة الأحزاب فكان له بعد ذلك على ما ارتضين واشترطن معه أن يترك القسمة لمن يشاء ويرضين منه بما يرضاه فكانت الآية على وفق ما اشترطن وعلى ما تراضين عليه لما نلن من شرف، وما أحرزنه من فخر، إلى أبد الدهر.

- **المدره:** لم حُرِّمَت أزواجه على المسلمين من بعده؟ وهَلاَّ أباح الله زواجهن أسوة بالناس؟

- **الأستاذ:** إن من الحكمة التى أودعت ذلك فى التحريم سداً لباب الفتنة، وحفظاً للسياسة وتوحيداً للكلمة. فلو أن إحداهن تزوجت برجل لتطاول للتداخل في السياسة، ولفعل بأدنى سبب ولأى وسيلة ما فعلته عائشة فقد أداها اجتهادها إلى محاربة علىّ مطالبة بدم عثمان يوم الجمل ولاناقة لها فى الخلافة ولاجمل، ولكنها رضى الله عنها! أداها اجتهادها الى النهى عن المنكر فى نظرها واجتهادها ، فلو أن إحداهن تزوجت برجل لتطاول للرياسة بحجة زوجية أم المؤمنين، ولكان له قدم صدق فى الخلاف

فى مواطن السياسة، هذا فضلا عن إكرام النبى وتعظيمه فكان التحريم لحكمة بالغة، وحجة نيرة، وآية باهرة، وبينة للباطل دافعة، وللحق جامعة فهل بقى فى صدرك أيها المدره حرج؟ ألم يوضح الله الحجة. والنبى و قد فعل مالا مطمع بعده فى إيضاح الحجة، ولا بقيت سبيل لعالم متخصص وخبير ماهر فيختار، بل قطعت الأسباب، ولاملجأ لعاقل بعد ذلك أن يلج من أى باب؟

- **المدره:** لم يبق لى إلا باب واحد ألجه، ومحجة واحدة أسلكها. فهلا اتخذ ذلك فرصة، ونحى منهن جماعة للعبادة خاصة ولدراسة العلم والحكمة واصطفى منهن أربعا ليكون جامعا للخصلتين، مؤديا للغرضين، محيياً للسنتين. فالمتروكات للدين والعبادات، وذكر القرآن ومدارسته، وفهم الأحاديث وحفظها، على أن يقمن بهداية الخلق، و إرشاد الناس الى الحق، والمصطفيات يكن على عدد الزوجات لسائر الناس ليكون ذلك قاطعاً لألسنة الملحدين، وإرشادا للضالين، وحجة فى هذا الزمان؟

- **الاستاذ:** قد كان كل ذلك واختص النبى بأربع و لم يزد عليهن وأبقى الباقيات يتذاكرن القرآن والحكمة ففى النسفى والخازن والسيرة الحلبية ما يفيد ذلك قال فى السيرة الحلبية ما نصه : وقد كان أرجأ النبى ﷺ من نسائه خمسا، سودة، وصفية، و جويرية، وأم حبيبة، وميمونة و آوى إليه أربعا، عائشة، وزينب، وأم سلمة، وحفصة، ألا تعجب لم اختار أربعا ولم يزد عليهن؟ فأما فى ذكرهن الحكمة واحترامهن وعبادتهن فاقرأ ما قال الله ﴿وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى

وأقمن الصلاة وآتين الزكاة و أطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا. إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ آية ٣٣/٣٥ من سورة الأحزاب.

أمرهن بالصلاة والزكاة وأن يُعلِّمن الحكمة ويذكرنها عسى أن يُعلِّمن الناس ويكُنَّ قدوة كما كانت أم سلمة وعائشة يعرفن كثيرا من الأحاديث وتروى عنهن وكما كانت زينب بنت جحش ماهرة فى الصناعات الجلدية فكانت بعده ﷺ تخرز، وتدبغ الجلود، وتبيع وتتصدق بالثمن على الفقراء والمساكين فكانت قدوة ويا ليت بنات المسلمين يعلمن ذلك!!! ليتهن يعلمن أن بعض الصناعات كانت مما قام به زوجات النبى ﷺ كما تفعل الأمم المتمدينة الآن فى أوربا والشرق واليابان!!!

- **المدره:** عجب إذن كانت تلك مدرسة !!!

- **الاستاذ:** نعم هما مدرستان فأول مؤسس لمدارس المعلمين والمعلمات فى الاسلام النبى ﷺ وهنا انفض الاجتماع وانصرفا على أن يعودا من الغد.

المجلس الثالث

● **الاستاذ:** ذكرنا أمس أن أول مؤسس فى الاسلام لمدرسة المعلمين والمعلمات النبى ﷺ وهذه مدرسة السيدات، أما مدرسة الرجال فهو المسجد والرجال هم الطلاب وهم القلوب ومحبى المعرفة الذين تجمعوا حول النبى من فقراء الله منهم أبو هريرة وصهيب وسلمان وعمار وأمثالهم ويقال أنهم يبلغون أربعمائة يأخذون الصدقات، ويحفظون القرآن، ويتعلمون الدين، عسى أن يكونوا معلمين كماكانت أمهات المؤمنين معلمات فيما بعد فهل بقى بعد ما تقدم قول لقائل؟

أليس فى إبعاد تلك السيدات عنه بحجة أو بغير حجة بعد ما ذكر قسوة وشدة لامحل لها؟ ألم يبين للشعب أن لامطمع له فى الاختصاص ولو كان جائزا له فساواهم فى الأربع وأرضى الباقيات أن يُرجَأْن اختيارا منهن وقصرهن على العبادة والتعليم؟

فالطلاق إذن طريق وعر، ومسلك خبيث، بل أمر يسبب العار والفضيحة يأنف منها العاقل والجاهل، فضلا عن الصالح والعالم، والنبى ﷺ لو أنه فاجأهن بالطلاق قسراً لكان ذلك أشبه بما صنع عمر من بعده إذ فاجأ جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغسانيين بالشام وقال له لنقتص منك لهذا الاعرابى الصعلوك

فلنكسر سنك كما كسرت سنه.

و لم يتمهل عمر فى ذلك و لم يترقب حتى يجد له مخرجا من عفو أو قبول تعويض ولم يطاوله، ففر جبلة ومعه ستون ألفا من رجاله إلى بلاد الروم فتنصروا.

ذلك لصرامة عمر فى القانون و لم يتربص حتى تتيح له الفرص مخرجا فما فعل النبىﷺ لا مفر منه ولا مخلص، فليس فى الإمكان أبدع مما كان.

● **المدره:** و اهًالك .. ثم واهاً واهاً !!! لقد أتيت بالعجب، وعلمت منك ما لم يكن يخطر على بال ، وإن فى بيانك لسحرا فما الجواب الثانى ؟

● **الأستاذ:** أما الجواب الثانى فأقول أن أولئك النفر وهم غيلان و نوفل بن معاوية والحرث بن قيس أسلموا بعد نزول آية التحريم فيكون قد اعتنقوا الدين بجميع نواهيه وأوامره. فتحديد العدد واجب عليهم فأما أولئك الذين أسلموا قبل التحريم وهم جموع وافرة ، وألوف مؤلفة، وربيون كثير، فما قرأنا ولا روينا أن أحدا منهم فارق ما زاد على الأربع ولو كان ذلك لنقل إلينا واتصل بنا، وأمر تعدد الزوجات ليس بيسير إنما هو أمر اجتماعى يؤثر فى أحوال الأمة ونظام الأسرات بل نظام الاجتماع ليس يصح إلا بعد نظام الأسرات فلو أنه أمر بفراق ما زاد على الأربع جميع من أسلموا قبل التحريم ما خفى علينا ، ولتعدد النقل، وكثرت الشواهد و الدلائل، وعليه يكون ﷺ واحدا من جم غفير من المسلمين أسلموا وعندهم جمع الكثرة من النساء ولم

يطلقوهن فليس يعقل أن تكون تلك الألوف المؤلفة، والجموع المختلفة، والفرق المتفرقة المنتشرة فى جزيرة العرب يمتنعون عما زاد على الاربعة قبل التحريم من القحطانيين والنزاريين ويختص بذلك أربع: النبى وأولئك الثلاثة ويكون كل أولئك الذين أسلموا قبل نزولها غير متجاوزين الأربع وفيهم السادة والأشراف والأغنياء وعلياء القوم وذوو البأس والشدة الذين هم أقدر الناس على الشهوات وصيانة النساء المصونات الفاتنات، فهذا كاف وحده لمنع هذه الشبهة.

● **ثم قال الاستاذ:** أماالجواب الثالث فلنضرب الذكر صفحا عما تقدم وكأن الجوابين السابقين لم يكونا نقول: إنه ما من دين إلا وقد أحاطت بالقائم به شكوك فى لفظه أو فعله أو نتائجه فانظر فى سير الأنبياء تر أن لكل واحد منهم ولكل قائم بعمل من سائر الناس فى أحواله و أعماله وجهين: وجه يتلألأ نورا وتستبين فيه الحقائق واضحة جلية وآخر تنعكس فيه الحقائق على طائفة من الناس وتُسوِّد وجوههم، فيلج الشك فى قلوبهم، ولا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم، وهذا فى المشاهدات معلوم يرى الناس الاشجار على شواطىء البحار ذات ظل فى الماء منعكس أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه ولاحقيقة لهذا وانما ظله مرتسم على سطح الماء فيخيل للناس انه متدل الى أسفل ويرون النار المتقدة من بعيد كبيرة وهى صغيرة ويرون هيئة الشخص فوق الجبل صغيرا وهو كبير، ويرون الزجاج المصدوع أبيض ولابياض، وانما هو ضوء الشمس أو غيره وتتبين الحقائق عند التدقيق ومثل هذا فى المسموع عن الأنبياء.

ألا ترى إلى قصة الخضر اذ اقتلع لوحا من السفينة فلامه موسى فلما أن تبينت الحقيقة أدرك ان فوق كل ذى علم علمياً وأن الوجه الذى تراءى له أسود، وأن المقصد إغاثة اليتامى بعيب السفينة لئلا يأخذها الملك غصبا.

وما كان ذلك إلا للأخذ بظواهر الأمور، وانعكاس الحقائق فى المرويات كما عكست فى المرئيات.

وفى قصة داود وسيمان مُعْتَبر فقد كان لأولهما ٩٩ امرأة ولآخرهما المئات من الحور الحسان، كأنهن الياقوت والمرجان مما ماج به قصره وازدانت بهن حجره، وحكم سليمان، ومزامير داود، عمت أرجاء المعمورة وأنت تعلم أن اليهود والنصارى والمسلمين يعمرون الأرض وهم نحو نصف النوع البشرى (نحو سبعمائة مليون) يؤمنون بداود وزبوره ومزاميره وترى اليهود والنصارى يتلونها آناء الليل و أطراف النهار، يناجون ربهم بكرة و عشيا، متضرعين بما فى المزامير من الآيات، ولا يجدون فى صدورهم ما يجد الناس اليوم مما تموج به بحار الأنفس، وبحار العقول، وتغلى به مراجل التعصب اليوم لبضع من النساء كن عند آخر الأنبياء ﷺ.

علمت الأنفس بفطرتها أن الديانات و الملل لا تتصدع بمثل هذه المتشابهات التى قد يعوزها الدليل و البحث فلا يعبأون بمثل تلك الشكوك، إذ هو مما يبدو لبعض النفوس وجها أسود بادىء الرأى، و لو حقق الأمر الأديب، ودقق العاقل، لوجدا العالم كله ليس يخلو من الوجهين فى ظواهر الأمر وعند التحقيق يتجلى لاعوج فيه ولا شُبَّه، ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت،

ولأضربْ لك مثلا بالشمس ترسل أشعتها الذهبية فيكون منها حياة الحيوان، وقوام النبات، و استضاءة الطرق والمسالك، وجرى الأنهار بحرارتها، ومع ذلك تجد من يعيب عليها، لوجهها المسود فى نظره لحكمة لم يفقهها، وآية لم يدركها، لهاجرة لذعته، أو ريح شديدة الحرارة أذته، أو ضربة شمسية فى رأسه أمرضته، أو زيادة حرارة فى عينه أعمته، لاستعداد فى نفسه، وضعف فى جسمه، وخلة فى المزاج.

ومن يك ذا فم مر مريض

يجد مرًّا به الماء الزلالا

فلا عيب على الشمس المضيئة، انما العيب على القوابل الرديئة، فيعمى إذ ذاك عن فضائلها، ويحكم بالجزئى الموهوم على الكلى والعموم، وقد دق ذلك الجزئى فلم يحط به علما فكان النظر جزئيا لا كليا، بل وهميا لا عقليا، فالأنبياء والمصلحون كالشموس، وعلومهم كالأضواء والأنوار، والملحدون أصابهم حرُّها لضعف عقولهم وإدراكهم.

و من يتطلبْ جاهدًا كلَّ عثرةٍ

يجدْها ولم يسلمْ له الدهر صاحبُ

فلا ضرورة اذن للجوابين السابقين إلا رداً لما يقال على ألسنة أولئك الثرثارين والا فبالله قل لى كتاب الله بين أيدينا وما لنا ولهذه الأضاليل والسخافات ؟

مضت الرسل وكانوا يتزوجون العدد الجم من النساء ولا اعتراض عليهم حسب شرائعهم وأزمانهم وأممهم لا تعترض ولا

تسخط. قُتل الانسان ما أجهله !!! قُتل الانسان ما أظلمه !!! قُتل الانسان ما أقل علمه !!! وما أتعس نفسه، يتركون ما لديهم، ويأتون بخيلهم و رَجِلِهم وصفوفهم، ليحاربوا ديناً فى مسألة عرضية لا جوهرية، وثانوية لا أولية. اللهم إن عبادك فى الأرض يضِلون، وأكثرهم فاسقون: يتبعون الشهوات فى لهجة الدين، فو الله، لا يريدون وجه الله، انما هو وجه الشيطان، وخبث النفوس، وجهل العامة.

اللهم ان أكثر الناس ظلوم كفّار، اللهم إننا خلقنا فى أمم يسير سوادهم مع الأهواء، يساقون كما تساق الأنعام، ما حججهم الا المغالطات، كلٌّ يسعى لملء بطنه، وسد نهمته، وشهوة فرجه، وسلخ جلود الأمم الضعيفة وذبحها على أصنام الأمم القوية.

فسلاح العلم أذكى سلاح وأمضاه، و هو طليعة جيش المدافع والسهام.

- **المدره:** قد تجلت الحقيقة، وتلألأ نورها، ووضح الحق، واستبان السبيل، وإنى أريد الكلام على تعدد الزوجات وجعلها أربعا.

- **الاستاذ:** لها وقت آخر وانصرفا وهما فرحان مستبشران.

المجلس الرابع
«تعدد الزوجات بين المسلمين»

- **المدره:** قد اتفقنا فى الاجتماع الفائت أن نأخذ بأطراف الأحاديث بيننا فى أمر تعدد الزوجات عند المسلمين فليس على الاسلام والمسلمين أشد انتقاداً ولا أمر مذاقا ولا أعظم وقعاً من هذه فهى التى أطالت ألسنة القادحين وأطمعتهم فى هذا الدين فأوضح القول فيه إيضاحاً وألتمس فى القول نهجاً وسطا لا رمزا ولا شططا بين ذلك متخذا المساواة سبيلا وان شئت فليكن الإيجاز أحسن تأويلا.

- **الاستاذ:** لقد غصت المجالس بهذه الكلمة و استفاض بها الحديث من الشرقيين و الغربيين ولن تجالس امرأً من بنى نهر التاميز أو السين أو الطونة او من الألمان أو الطليان وكان من المغرمين بالديانات إلا فاجأك بهذا الحديث ولقد والله عجبت لهذا الانسان كيف يتعالى حتى يصل مستوى الفضيلة والشرف وينحط حتى يستنزل عن دركات البهائم والدواب والحشرات. هذا الانسان أيها العزيز مخلوق غريب ترى الأوروبى عالما بكثير من الشؤون طائرا فى الجو جاريا على الأرض بالصناعات

عائما فى البحر سابحا فيه بعلمه حتى إذادخل فى مجاولات الدين هالك أمره فأيقنت أن هذا الإنسان مطليٌّ فقط بظاهر التمدين، فارغ من داخله من أى معنى.

عاب الاسلام بمسألة عمرانية من آلاف المسائل الصحيحة و ياليت شعرى لو انهاكانت شقّ فى الدين لم تغن فتيلا فى الاعتذار ولم تقم حجة على ضعفه ولم يكن ثمة سبيل لاعتقاد وهنه فكيف وهي كما سنوضح من مستلزمات الاجتماع و مقومات هذا النوع الانسانى التعدد المعتدل على ما سترى من أعمدة المدنية المقبلة و من عقاقير الأمراض الاجتماعية المزمنة تعدل مزاج هذا النوع أيما تعديل، وتقومه أحسن تقويم، فمزاج الإنسان اليوم منحرف من الضرر وإصابة الحمى من تعفن الاخلاط وتراكم أدرانه و تتابع آلامه ومسألة اجتماعه المنزلى من عويصات المسائل و كبرياتها فلأفض فى القول و لتسمع ولتع ولأقدم المقدمة قبل ذلك فأقول:

(١) اعلم أن المقرر فى الطبيعة كما هو المعلوم فى سائر الدول والممالك أن عدد الذكورَ فى الميلاد يساوى عدد الاناث تقريبا كما أوضحت فى كتابنا (أين الانسان) وعليها بنينا نظام الأمم المقبلة إن صحت عزيمة الانسان واراد التملص من حطته والتخلص من شططه وخطيئته فلو أنك استقصيت مواليد الأمم أمة أمة والبلدان بلدة بلدة لرأيت هذه العجيبة الغريبة و هى التساوى بين الجنسين محكمة مطردة صادقة فلتقرأ مواليد بلدتك أو أى بلدة تجاورك أو أى مملكة أحصت ذكورها وإناثها تجد التساوى تماما إلا قليلا لخلل عرض، و ضعف ومرض، وأحوال

استثنائية ، وأمور فجائية هذا هو القانون العام وهـذا أساس بنينـا عليه ما لهذا الانسان من نظام طبيعي في أخلاقه وسياسته وصناعته وحكومته وكيف زاغت الحكومات وضلت السياسات واضمحلت الجماعات واكفهرت الاجواء واختلفت الأنواء وتواثبت الشُّبَـات ونقضت العهـود و الامانـات كل ذلك لجهـل الانسان بفطرتـه وزيغـه عـن جادتـه فاقـرأه في كتـاب «أيـن الانسان» تـر العجب العجاب مما لا محل لذكره هنـا وإنمـا نريـد مـن ذلك ان هـذا الانسان تساوت ذكرانه بإناثه فلم تتطلب أمة من أخـرى نساءهـا اضطرارا ولـم يكن من زلة طبيعيـة واحـدة مـن هـذا السبيـل بـل كل ذلك بمقدار فلم نسمع أن أمة من الأمم القديمة أو الحديثة مهما طال عليها القدم كـانت مواليدهـا يومـا مـا جميعـا إناثـا أو ذكورا بل العدل مستمر دائم فهـذه أول مقدمـة.

(٢) المقدمـة الثانيـة انى قـرأت في إحـدى صحائـف اللـورد كرومر الذى كان عاملا للأنكليز في مصر في صحيفته السنويـة ان تعداد الزوجات بين المسلمين لا يزيـد عـن خمس في المائـة ثم نقل عن آخرها من السائحين من بعده فقال انهـم لا يزيـدون عن ثلاثة في المائة هذان هما الاصلان اللذان أبنى عليهما النتائج الآتية:

فإذا تقرر هذان الاصلان نقول: منذ سنين معدودة عدَّت أمـة الانكليز نساءهم فزاد مقدارهن خمس عشر امرأة في كـل ألـف رجل وامرأة فتكون من هذه الزيـادات آلاف ومـن الآلاف مئات الآلاف وصاحوا وولولوا و ندبوا حظهم مـن الطبيعـة و قسطهـم من العدل وقالوا انْ هذا إلا خسران أيـن نضعهـن ومـن يعولهـن

وماذا نصنع فيهن وزلزلت أرض نادى العموم زلزالها وأخرجت أرض الهموم أثقالها وقال سادات الانكليز مالها فيومئذ حدثت الجرائد أخبارها أن عدد النساء ازداد وما تغنى المدافع والجنود هذا ما كان من أمة الانكليز فى التعداد العام ولعمرك ما من أمة الا أصابها موت الابطال فى ساحات الوغى وفقد الرجال مما يقل تعداد رجالها عن نسائها وهذه الحرب المستعرة الآن شاهد عدل فكم من نساء بلا زوج قد فقدن النصير وأعوزهن العشير فقلّت الرجال وكثرت النساء و قد بلغنا عن التعايشى خليفة المهدى السودانى انه ذبح الرجال و استحيى النساء فكنت ترى فى القرية الواحدة بضعة شيوخ و اطفال وآلافا من النساء وقد صح فى الحديث عن سيد الرسل ﷺ إذ قال فى اشراط الساعة: (وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون للخمسين امرأة القيم الواحد) عجب أمر النبوة يذكر أيام المسيخ الدجال وان أول أيامها يساوى سنة وثانيها يساوى شهرا وثالثها يساوى أسبوعا الخ. مشاكلة لحال الكرة الارضية حذو القذة بالقذة كما فى رسالتنا على هلال رمضان فانظرها وها هنا نذكر إشراط الساعة ويذكر أنه يكون للخمسين امرأة القيم الواحد مطابقا لحالنا الحاضرة فى هذه الأيام السود اذ يفنى الرجال ويبقى النساء ولا عائل لهن ولقد علا صراخ الانكليز و عويلهم من خمس عشرة امرأة زادت فى كل الف رجل وامرأة لعلة عارضة فى النسل وطارىء من الضر على أرحام النساء وأصلاب الرجال ومناهج التربية وطرق الأغذية وما شاكل ذلك فما بالك بهذه الحروب الطاحنة والأضغان الظاهرة وقد سقط الأبطال فى

المعارك وعم النكال واصطدم أعظم الامم قوة وأشدهم بأسا في العراك والقتال فسقطت تلك السادة الكرام وبادت تلكم الأبطال المقاتلون والأشداء المحاربون فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم وحرمهم الفواتن الحرائر البوائر العوانس.

- **المدره:** لقد أطلت فى هذا المقام وخرج القول الى الإبهام فإن حاصل الأمر يرجع الى ان الرجال وإن سادوا النساء عددا فقد ينقصون عنهن بالطبع كما حصل نادرا بانجلترا و قد يكون بالمصائب في الحروب والاحوال العارضة العامة لسائر الناس وأنا لا أرى هنا مجيزا لتعدد الزوجات فان القانون العام لا يكون لمثل هذه الاحوال العارضة والأمور الطارئة على أنه لو أن ذلك يكفى فى التشريع لعارضة تشتت الأسرات وتفرق الجماعات بتعدد الأمهات فى الأسرة الواحدة و هل أتاك حديث الأزواج وبؤسهم والزوجات ونكد عيشهن وأبناء الضرائر وضغنهم وسوء العيش والشجار والعراك والتقاضى فى المحاكم وسوء العشرة كل ذلك الشر لا يقاوم الخير الناجم من زواج تلكم الأيامى اللآئى مات أزواجهن واذا اجتمعت علتان يتبع الأخف وهذه الشرور الكثيرة فى الأسرات أنكى من ضرر عدد من النساء فقدن العائل و عشن على غير طائل وهن أرامل.

- **الاستاذ:** لقد تعجلت ولم تتمهل حتى أتم القول فاصغ لما أقول موجزا:

إن أكثر الرجال سائرون على هذا النهج الطبعى يتزوجون بامرأة واحدة والقليل انقسموا قسمين ففريق أصبح شديد الشهوة

قوى البنية كثير المال مغرما بالنساء بالطبع وفريق ترك النساء إما زهدا دينيا كالرهبان وإما ضعفا عارضا وإما فقرا مدقعا وإما غما وهما وهذا صنف دائم ثابت فى نوع الانسان فضلا عن الحرب و النكال فى الأمم فهذا ينفى ما أشرت إليه من أنه نادر أو عارض يزول فلا مناص من جواز التعدد لأن النساء اللائى لا عائل لهن يقابلن الفريق الاول من القسمين السابقين وهم الشهوانيون فلو أنا حرمنا التعدد لاصبحنا وجها لوجه امام الخطر الداهم الذى طغى سيله و تجاوز الحد وعم فساده من أوربا فأغرق الشرق سيله الجارف ألا وهو الزنا الرسمى وسعى له سائر الممالك المتمدينة لأن ذلك الغنى يطلب أكثر من امرأة وتلك النسوة البائسات الجميلات يتطلبن الرجال للقوت والشهوات فلو حجرنا عليهم وعليهن لتولد فى مجتمعاتنا تيارات لا ضابط لها ولا رابط فطاحت العفة وضاع الشرف و ذهبت المروءة.

أما الاسلام فلتعجب ولتنظر أباح تعدد الزوجات فزال الخطر المحدق وكانت العفة والشرف والنسل الشريف. انظر أليس التعداد كان خمسة فى المائة او ثلاثة فى المائة اى ثلاثين فى كل ألف ومن عجب ان هذا العدد الاحصائى يواتى ما قدمناه فان المقدار فى الالف يقابل المتقاعدين فى كل أمة عن الزواج وهو القدر الذى يجتمع فيه الخصال الثلاثة الشباب والفراغ والجدة وهى مفسدة للمرء أى مفسدة.

فانظر وتعجب كيف جعل الاسلام هذه المسدة مصلحة واستبدل الزوجات بالبغايا وابناء الرجال الاشراف المتعلمين العالمين بابناء الزنا المتردين والمخنوقين والعفة بالفجور والأمانة

بالخيانة والصيانة بالأهانة اباح الاسلام تعدد الزوجات فماذا جرى؟ تقدم أولئك الاقوياء أولئك الاغنياء المشرفون فمدوا أيديهم الى من عندنا من النساء اللائى لا قيم لهن فتزوجوهن و اقفلوا بيوت الفجور ومحال الدعارة والفحش. شهد اللورد كرومر فى تقريره ان هذا العدد لم يزد.

جعل الله لكل رجل امرأة فضعف بعض الرجال أو مات فقام غيره فاتخذ نظيره من النساء وعالهن وهل جل المسلمين يعددون أو كلهم وهل المعددون استوعبوا النساء حتى فقد عددهم كلا ثم كلا. لسببين: الاول انه لم يخلق الله الا امرأة واحدة نظير كل رجل فالمتروكات نظير الهالكين والضعفاء والثانى: أننا نسمع أن رجلا ما اراد أن يتزوج فوق واحدة من النساء فلم يجدها لم نسمع هذا فى تاريخ أمة من الأمم حتى التى أباحت العدد المطلق إلى مالا يحصى فعلمنا أن الحكمة الالهية حفظت نظام العالم.

أما ما يقال من سوء العشرة و فساد المنازل بين الأخوة فهذا كلام ناشيء من جهل القائلين به وعدم تبصرهم فليس كل أخوين من أمين متشاكسين ولا كل أخوين من أم واحدة متحابين. ان واحدا من ذوى قرابتى رأيته يحب أخاه لأبيه ولما مات ذلك الأخ بكى عليه قريبى أكثر من أخى الميت الشقيق فعجبت لكذب القوم الصراح وجهلهم الفاضح على ان الحسد فى الاخوة أمر طبعى وانما يهذبه العلم والتربية والادب والدين ولو كانت المشاجرة والعداوة بين الاسرة علة لمنع التعدد لقلنا فليزل نوع الانسان من فوق سطح الكرة الارضية فالأمم كلها فى ضغائن

والافراد متشاكسون: ولو سلمنا جدلا ان العداوة كائنة فالابناء خير والشر العارض لا يمنع الخير العظيم وهو ازدياد عدد الأمة و ظهور الرجال فيهم على أن أكثر من نراهم فى الأمة هم أبناء أولئك الاقوياء المترفين الاغنياء الذين يعيشون ليلدوا كما ان آخرين يعيشون ليعلّموا ويؤلّفوا.

قوم يلدون اجساما وآخرون يلدون عقولا كم من رجل فى البلاد المصرية خلف ثلاثين ذكراً أو أربعين ومنهم من بلغ ابناؤه وابناؤهم عددًا وافرًا فاختلطت عليه الأسماء. ما أسوأ الأمم الغبية الجاهلة التى تقول لأقويائها لا تتزوجوا علنا وتزوجوا سرا لتموت ابناؤكم فى المراحيض ما أجهل تلك الأمم ما أقل علمهم ما أكثر جهلهم ما أوضح العلم وما أجهل أولئك فى علم الاجتماع فالحق والحق اقول ان العالم الانسانى اليوم يعوزه الفلاسفة والحكماء ليعرف كيف يعيش فإن نظرياته ضئيلة ضعيفة يحيا ويموت على عادات موروثة ومناهج مرسومة يقلدها تقليد العميان ويتبعها اتباع الصبيان ويذم ما ليس من عادته وفى التنزيل ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ الآية ٣٩ من سورة يونس.

يقولون تعدد الزوجات أفسد المجتمع الاسلامى وياللعجب لو أن التعدد إفساد لم يكن الثلاثون فى الالف شيئا مذكورا حتى يفسد الالف ومن ذا الذى ضل عقله وزاغ بصره فحكم بفساد الالف اذا فسد منهم ثلاثون هذا قول من فى قلبه مرض وعلى عينيه غشاوة فكيف وقد استحال الفساد صلاحا و اضحى

الثلاثون فى الألف أو الخمسون منها إصلاحا لباقيها يلدون لهم البنين والبنات ويخرجون القواد والعلماء والنساء الكريمات الأصل والفتيات وهم أقدر فى الغالب على التربية والتعليم لما احرزوا من ثروة و ما أوتوا من مال فياليت شعرى كيف تسنى للأمم ان يقولوا للمرأة افعلى الخنا اذا اخترتيه سبيلا وكونى زانية اذا راق لديك وصفا وقتك ويا أيها الرجل ابحنا لك الزنا واخترنا لك الخنا وآتيناك منا قوة القانون. على ان تغازل من تشاء من الفتيات فأى فتاة فضحتها وافزعتها واى امرأة أزلت صونها ومددت يديك الى سترها فمزقته والى بيت شرفها فهدمته وكان ذلك على اختيار منها ورضاء فإنا لكم معينون و ان أثمر ذلك وأد البنين والبنات وقلة النسل العام فى الأمة وإن فاق اعداؤها عددا فاعتلوا عليها عند الغلبة بكثرة عددهم وصفوف جيوشهم ثم تقول تلك الأمم انفسها ايتها المرأة ويا أيها الرجل إياكما أن تجتمعا اجتماعا شرعيا فلا يكن عندك ايها الرجل منهن ثلاث او أربع احذرا ذلك فإنها عادة المتوحشين و لو صينت الاعراض واقفلت بيوت الخنا وقمت ايها الرجل على امرأتك فأطعمتها وكسوتها ورحمتها نحن نحرم عليك ذلك وعليك ايتها المرأة نحرمه تحريما باتّا ولكنا فى الوقت نفسه نبيحه على سبيل الفجور والخنا فاجمع يا رجل من شئت من النساء ولو الفا ما دام ذلك سفاحا وايا كما ان تجتمعا اجتماعا شرعيا ولو أدى ذلك الى حياة البنين والبنات وكثرة القواد والمؤلفين والعلماء وتكاثر النسل حتى يغلب العدوّ المفاجىء الداهم (رضينا بالخنا رضينا بالزنا رضينا بقلة النسل وكثرة العقم رضينا أن يكون

نسبتنا الى عددنا العام كنسبة عدد الفرنسيس الى الالمانيين لما في الاولين من اهمال أمر الزواج وفي الآخرين من الحرص عليه وانما علينا اذا حكمنا أمة من الأمم ورأيناها تتكاثر ولادة بقوانين بلادها علينا أن نحسدها ونتوقع الشر منها ونشفق ونسومهم سوء العذاب ونوجس شرا من كثرة نسلها و نرسل رسلنا وطلائع استعمارنا ونصطفي الحكام من صغار النفوس المتواضعين ونوحي اليهم ان قبحوا لهم هذه الشريعة البيضاء سودوها في وجوههم وأملأو افئدتهم بالسوء والجدل والمناقشة وهو شرٌّ عليهم لعلهم يرجعون عن التعدد بل لعلهم يزنون ولعله يقل نسلهم فنتمكن من حكمهم كما قال هنرى الفرنسى في كتابه عن الجزائر اذ قال (قعدنا لهؤلاء المسلمين كل مرصد وسددنا عليهم السبل واحطناهم بسرادق من نار لعلهم يقلون فلم نقدر حتى الخمر سلطناها عليهم وهي السلاح الفذ لمحاربة الشرقيين فمنعه الاسلام ان يشرب حبه في قلوبهم أو يفتت اكبادهم فهم يتناسلون والفرنسيون لا يتناسلون).

حارت والله تلك الأمم. حارت في محاربة النسل في الأمم المستعمرة حسدوها على الفضيلة وعلى النسل وعلى السعادة ولقد اخبرني صديق ان إحدى الامم لما رأت الزنوج الافريقيين والوثنيين يتزوج الرجل نساء كثيرات وليس عليه إلا أن يجلس في خيمته طول نهاره يتمتع بما تكسب النساء له من كدهن وعملهن و هو قوى البنية ولا يصرفها الا في أحبالهن وأيلادهن وإنجاب الذرية فكثر النسل ولم يقدر الاوروبى ان يحاربه. ضربت الحكومة على المتزوجين من هذا القبيل الخراج عسى

ان يقل نسلهم فما أشأم هذا الانسان قتل الإنسان ما أكفره الآيـة ١٧ مـن سورة عبس ﴿ان الانسان لظلوم كفـار﴾ الآية ٣٤ من سورة إبراهيم.

﴿ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعـون﴾ الآية ٤١ من سورة الـروم.

● **المدره:** والله لقد شفيت صدرى وأزلت الغمة وكشفت النقاب عن وجه الحقيقة الجميـل.

تم فى صباح يوم الاحد ٢٧ سبتمبـر سنة ١٩١٤
فى ميدان القبة القاهـرة

هذا الكتاب

إلا أن للنساء نفوسا كما للرجال يحسن بشرف كما يحسون ويسعين للحياة والذكر والأجر وعلو الهمة كما يسعون.

لقد برهنت النساء في كل زمان على أن فيهن من تفضل الموت على العار بل إنهن أرق شعورا، وألطف أفئدة، وأشد قبولا للموعظة، وأكثر تقديرا للفضيلة، وأوفى بالعهد إذا أخلصن للزوج.

فالرجل هو بمثابة العقل الموجه والقوة المنفذة في الكيان البشري على الأرض والمرأة هي القلب والوجدان فهي الأم والرفيقة والزوجة والأخت والحبيبة في ذلك الكيان.

